الفصل الثالث

فلسطين أرض الأنبياء

فلسطين لم تُذْكر في القرآن الكريم إلا بالأرض المباركة ، وعندما تُذْكر يقترن ذلك بذكر الأنبياء والمرسلين ، وعندما ذكر المسجد الأقصى اقترن بها «باركنا حوله» فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء:١) فلم يقل الذي باركنا فيه ولكن قال «الذي باركنا حوله» لكي يشمل فلسطين كلها ، وليلفت أنظارنا إلى أن البركة ليست في هذا المكان فقط ، بل العبرة بكل ما يحيط به فالأرض مباركة والمسجد مبارك ، وانظر لقوله مع موسى : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المائدة:٢١) سماها الأرض المقدسة ، ومع سليمان : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٨١) فقد سماها الله بلفظ البركة ، ومع الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٧١).

يقول العلماء بأن نفخة الحشر تبدأ من هذه الأرض ، وقد ورد في كثير من التفاسير بأن هذه النفخة تبدأ من فلسطين ومن عند المسجد الأقصى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (ق:٤١)، حيث ورد في كتب التفسير أن المنادي هو إسرافيل عليه السلام ينادي من صخرة بيت

المقدس وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء «أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء»[1].

وليس أدل على أن هذه الأرض مباركة إلى يوم القيامة إلا صلة أنبياء الله بالمسجد الأقصى وبيت المقدس بفلسطين ، حيث وَجَّه الله سبحانه وتعالى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى هذه الأرض المباركة ، فهي أرض الأنبياء ، وأرض الدين ، وأرض الصلة بالله تعالى من آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى قيام الساعة ، ومن هؤلاء الأنبياء :

● سيدنا آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ زار هذه الأرض المباركة وبنى المسجد وهو أول من بنى المسجد الأقصى المبارك وأسسه[2].

فقد جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله : أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام ، قال : قلت : ثم أي؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم كان بينهما؟ قال أربعون سنة ، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله ، فإن الفضل فيه[3].

فالمعنى أن الله سبحانه وتعالى أول ما نزل آدم أمره أن يبني له مسجداً فبنى المسجد الحرام حتى اكتمل بناؤه ، ثم قال له ابنِ لي مسجداً ثانياً ، فبنى المسجد الأقصى ، وبقي المسجد الأقصى ملك المسلمين من ذرية آدم الصالحين المؤمنين حتى جاء سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٩٤.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ـ دار الريان للتراث بالقاهرة ـ ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٦/٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٦/٤٠٧ رقم الحديث ٣٣٦٦ ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ١/٣٧٠ رقم الحديث١ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب المساجد ١/٢٤٨ رقم الحديث ٧٥٣ .

قال ابن حجر «قد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ، ثم انتشر ولده في الأرض ، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس»[1].

وقال أيضاً : «وقد وجدتُ ما يشهد ويؤيد قول من قال : إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين ، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان» أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس ، وأن يبنيه ، فبناه ونسك فيه» ، ثم جاء إبراهيم فجدّد بناءها على القواعد ، والأساس كان موجوداً قبل ذلك ، وجدّد بناء المسجد الأقصى على هذا القول[2].

● نوح ـ عليه السلام ـ وحصل الطوفان في عهد نوح ، وقد كان لنوح ثلاثة أبناء ذكور ، منهم نشأت أمم الأرض بعد الطوفان ، وهم (سام وحام ويافث) ، والعرب وبنو إسرائيل منحدرون من نسل سام ، فهم ساميون ، وبعد الطوفان بقي سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ مسؤولاً عن المسجد الأقصى ، واستمر الأمر حتى جاء سيدنا إبراهيم ، فسيدنا نوح يعرف بأبي البشر الثاني .

● إبراهيم أبو الأنبياء : هاجر نبي الله إبراهيم من بلاد العراق إلى أرض فلسطين المباركة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٧١)، ويقصد بتلك الأرض فلسطين حيث ظل إبراهيم ـ عليه السلام ـ مقيماً في أرض كنعان بعد بناء الكعبة ، وأصبحت هذه البقعة من أرض الشام مهجراً له بعد أن نشأت له ـ عليه السلام ـ فيها الذرية الطيبة ، وقد دفن إبراهيم ـ عليه السلام ـ بها بمدينة الخليل بجوار زوجته سارة[3]، فقد ذكر ابن جرير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن الأرض المباركة

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني دار الريان للتراث بالقاهرة جـ٦ ص٤٧١ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني دار الريان للتراث بالقاهرة جـ٦ ص٤٧١ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ـ دار أبي حيان بالقاهرة ط١ سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ١/٢٥٠ .

هي بيت المقدس لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء وهي كثيرة الخصب والنمو عذبة الماء[1]، وورد في تفسير ابن كثير عن أبي ابن كعب قال الأرض التي بارك الله فيها للعالمين : هي بلاد الشام وما نقص من الأرض زيد في بلاد الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبها يهلك المسيح الدجال[2].

● إسحق ويعقوب ويوسف : كل هؤلاء عاشوا فيها قبل انتقالهم إلى مصر حيث سكنوا الخليل ونابلس[3]، يقول الله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٣)، وقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (يوسف:٧).

● موسى ـ عليه السلام : أمره الله سبحانه وتعالى أن يسير ببني إسرائيل من مصر قاصداً بيت المقدس ، لكنه لم يدخل أرض فلسطين المقدسة ، حيث توفي عليه السلام شرقي الأردن ، وقد سأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، وبعد وفاته دخل يوشع بن نون عليه السلام ببني إسرائيل أرض فلسطين ، فقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:٢١) فالمراد بالأرض المقدسة : بيت المقدس وما حوله[4].

---

(١) تفسير الطبري ١١/٣٠٥ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٤٩ .

(٣) واقدساه ددكتور سيد حسين العفاني ١/١١٦ ـ العصر للطباعة ـ بني سويف ـ مصر ، ط١ سنة١٤٢١هـ ٢٠٠١.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ١/ ٥٠٢.

وهو خطاب موسى عليه السلام لقومه .. وفيها دليل على أن القدس وفلسطين مقدسة في الأزل ، قبل أن يحل بها قوم موسى ، لأن وجود المسجد الأقصى في القدس وفلسطين ، قبل حلول بني إسرائيل في فلسطين ، وقبل أنبياء بني إسرائيل الذين يزعم اليهود وراثتهم .

● داود ـ عليه السلام ـ : كان داود عليه السلام أول نبي يدخل بيت المقدس ويتخذه مقراً له ، وقد صلى وعبد ربه في المسجد الأقصى[1].

● سليمان ـ عليه السلام ـ : قام سليمان عليه السلام ببناء بيت المقدس ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس ، سأل الله ثلاثاً : حكما يصادف حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد ، لا يريد إلا الصلاة فيه ، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فقال النبي ﷺ «أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة»[2].

● عيسى ـ عليه السلام ـ : كانت نبوة عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ في بيت المقدس ، وفي بيت المقدس عبدت مريم بنت عمران ربها في محرابها ، الذي كانت تختلي فيه للعبادة ، قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾(مريم:١٦-٢١).

---

(١) بيت المقدس والمسجد الأقصى ـ دراسة تاريخية موثقة أ. محمد محمد حسن شراب ط ١ سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤ ص٢٩٤.

(٢) أخرجه النسائي في سننه في كتاب المساجد٢/٣٤.

وقد ورد في كتب التفسير أن مريم بنت عمران كانت من بيت طاهر طيب ، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران ، وأنها نذرتها محررة ، أي تخدم مسجد بيت المقدس ، وكانوا يتقربون بذلك[1].

وهذا يبين على أن آل عمران ، ومريم ، وابنها عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد عاشوا في فلسطين حيث ولد عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مدينة بيت لحم ، كما بشر عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتعاليمه في فلسطين .

● محمد ﷺ : دخل أرض الشام قبل البعثة وهو صبي مع عمه في التجارة ، وأسري به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، وقد ربط رسول الله ﷺ البراق عند باب المسجد الأقصى في حائط البراق ، وبعد ذلك دخل المسجد فصلى تحية المسجد ، ثم صلى بأنبياء الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جميعاً.

وقد ربط الله ـ سبحانه وتعالى ـ بين مبدأ الإسراء ، البيت الحرام في مكة المكرمة وبين منتهاه ، المسجد الأقصى في القدس ، وكما يجب على المسلمين حماية البيت الحرام وصيانته ، من كل أذى وسوء ، وتطهيره من كل دنس أو رجس مادي أو معنوي ، يحب على المسلمين العمل الجدي المتواصل ، على إنقاذ القدس من محنتها ، وتحريرها من غاصبيها حتى تعود بلداً آمناً ، يرتاده كل مؤمن بالله للزيارة والعبادة ، كلما أراد .

وبعد الهجرة توجه النبي ﷺ إلى مشارفها ، حيث وصل إلى تبوك ، ووجه إليها جيشاً بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنهما . ولقد أقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ في القرآن بهذه الأرض فقال :﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ (التين:١-٣) : فالله سبحانه وتعالى أقسم بهذه الأماكن العظيمة

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق د. محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ـ بيروت ط٧ سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م ٤٤٦/٢.

وهي بيت المقدس ، وطور سيناء ، ومكة المكرمة ، فقد أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما)[1].

وفوق ذلك كله ففلسطين والمسجد الأقصى المبارك مسرى النبي محمد ﷺ ، وأولى القبلتين ، وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين ، والمسجد الأقصى مرتبط بالمسجدين الحرمين ارتباطاً وثيقاً ، ولا يمكن أن يذْكُرَ النبيُّ ﷺ المسجدين الحرمين إلا ويذكر معهما المسجد الأقصى إلا ما ندر : فيقول ﷺ :« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »[2]، ويقول « فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، والصلاة في مسجدي هذا بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة »[3].

إذاً المسجد الأقصى المبارك هو أولى القبلتين فقد ثبت عنه ﷺ أنه صلى ناحية المسجد الأقصى سبعة عشر شهراً ، كما كان الأنبياء قبله يصلون ، وكان وهو في مكة يحاول أن يجمع بين الأمرين ، فكان يصلي بين الركنين : بين الحجر الأسود والركن اليماني ، فتكون الكعبة أمامه ، ويكون أيضاً بيت المقدس أمامه ، ولكن تعذر عليه ذلك حينما هاجر إلى المدينة ، فكان يتمنى من قلبه أن يوجه إلى قبلة أبيه إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، كما أن الصلاة فرضت على المسلمين ليلة الإسراء والمعراج ، وهنا نتساءل لماذا كل هذا؟ أليس ذلك كله دليلاً واضحاً على مكانة وأهمية المسجد الأقصى المبارك بالنسبة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؟ فهل من المعقول أن نتخلى عنه ؟ !

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٨١/٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة ٦٣/٣ رقم الحديث ١١٨٩، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج ١٠١٤/٢ رقم الحديث ٥٥١ .

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤٨/٢ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤.

إن الدجال لا يلقى عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا في هذه الأرض ، فينزل عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد ملأ الدجال الأرض كفراً وفسوقاً ، فيقتله عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في فلسطين ، فكأن أحداث البشرية كلها مرتبطة بهذه البقعة المباركة.

وعندما ننظر إلى الصحابة والتابعين نجد أن الخليفة الراشدي الأول أبا بكر الصديق ﷺ قد ابتدأ فتحها قبل غيرها من المدن ، وكذلك الخليفة الراشدي الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حيث استكمل فتحها ولم يتحرك ﷺ من المدينة المنورة من مقره لاستلام مفاتيح أي بلد فتحت إلا عندما فتح بيت المقدس ، فكأن أمير المؤمنين يلفت نظر المسلمين إلى أهمية وقيمة هذا المكان .

إن الصحابة الكرام وتابعيهم بإحسان قد تعلقوا بهذا المكان : فكثير من أصحاب النبي بعد فتح فلسطين ذهبوا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستأذنونه ليأذن لهم بالاستقرار في الأرض المقدسة ، فهذا أبو الدرداء يعيش هناك عمره كله ، وهذا سلمان الفارسي يعيش هناك ، وهذا بلال ، وهذا عبادة ابن الصامت . . . وكثير من الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قرروا أن يستقروا هناك رضي الله عنهم أجمعين ، فصحابة رسول الله ﷺ لم يكونوا ليفضلوا الترحال والعيش في أرض فلسطين المباركة ، إلا لسماعهم ببركة هذه الأرض وفضلها من رسول الله ﷺ .

وعند الدخول إلى المسجد الأقصى تجد أن الأعمدة مكتوبٌ عليها : هذا عمود أبي حامد الغزالي ، وهذا عمود ابن القيم ، وهذا عمود صلاح الدين . . . وغير هؤلاء ، فكل عمود من الأعمدة يجلس تحته قطب من أقطاب المسلمين ، يعلم المسلمين أمور دينهم ودنياهم ، والآن فإن المسجد بحاجة إلى عودة حلقات العلم إليه لينهل منها طلاب العلم .

أضف إلى ذلك بأن حجاج بيت الله الحرام كانوا حتى بداية القرن العشرين لا يعودون إلى بلدهم إلا بعد مرورهم بمسجد النبي ﷺ ، والمسجد الأقصى المبارك والصلاة فيهما ، كان هذا من بعد وفاة النبي ﷺ حتى بداية القرن العشرين ، قبل احتلال هذه الأرض المباركة فكأن الحجَّاج يقولون : سنأخذ الثواب بالصلاة في المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ، وقد بين رسول الله ﷺ فضل أن يهل المسلم بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، فقال : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ أو وجبت له الجنة ـ »[1].

هذه هي فلسطين الحبيبة أرض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، حيث صلى رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ إماماً بإخوانه الأنبياء والمرسلين على أرضها الطاهرة في المسجد الأقصى المبارك ، وبذلك يكون ﷺ قد تسلم الراية من إخوانه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ليضعها أمانة في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة .

فماذا بعد يا أمة الإسلام ...؟ ! ! .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾

(ق:٣٧)

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب المناسك ٢/٩٩٩ رقم الحديث ٣٠٠٢.